ندوة الاسلام والتصوف

(بقية المنشور على صحيفة ٣٤)

واذن فمأساة الحلاج ، لاتنال من كرامته ، ولاتنسب الى غضب الله سبحانه عليه ، بل هى من علامات المؤمنين المجاهدين

● الدكتور محمد مصطفى حلمى :

النقطة الثانية التى ارجو ان يفصح عنها الدكتور غلاب هى : رأى العلماء الغربيين فى الكرمات .

والواقع ان الذى نشاهده الآن على الرغم من تقدم العلوم المادية ، أن بين العلماء الطبيعيين الذين يشتغلون بالمادة قوما اقبلوا على الروح واشتغلوا بالروحية اشتغالا فاق فيه بعضهم من تخصص فى أمر الروح فانتهوا الى ان المادة التى يعملون فيها بأيديهم وعقولهم وتجاريبهم ليست هى كل شىء ، وليست هى الشىء الذى له القيمة ، وانما هناك شىء آخر ، أعز من هـذا وأروع ، ولعله الذ وامتع ، الا وهو تلك الحياة الروحية ، التى تصفو فيها النفس ، ويدق فيها الحس ، ويصبح فيها الانسان أدنى ما يكون الى الاتشاح بوشاح الهى يمكن له من رؤية أشياء لايستطيعها من لم يتحقق بمثل ماتحقق به ، ومن هنا نستطيع ان نقول : ان العلم المادى نفسه بكل ما أوتى من وسائل البحث وأدوات الدرس لايستطيع بحال ما أن ينكر أن فى العالم قوة أقوى ، وروحا اسمى من هـذا الذى يقف عنده الماديون ، دون أن يجاوزوه الى ماورائه من عالم ماوراء الطبيعة

واذا كان بعض العلماء الماديين يفسرون الكون تفسيرا ماديا ، فان هناك أضعافا مضاعفة لهذا الفريق ، يفسرون الكون بأسرار هى من صميم العالم الغيبى ، وهى منح من لدن الله سبحانه اكثر من ان تكون مصنوعات للانسان

واذا كان الأمر كذلك ، فأظن أن ذلك العلم الروحى مضافا الى العلم المادى يتضافران وينتهيان الآن الى ان ماهو معجزة لنبى ، وما هو كرامة لولى ، هما أمزان مقرران تحققهمـا العقول التى وقفت عند المـادة ثم جاوزتها الى الروح ، والقلوب التى صفت منذ بدايتها حتى انتهت الى ذلك الملأ الاعلى ففاض عليها من نوره نورا ، ومن سره سرا ، استطاعت به ان تلمس الحقائق العليا .

● الدكتور محمد غلاب :

أنا موافق تماما على قول الدكتور حلمى من أن هناك قوما من العلمـاء وصلوا الى من يقول بقـوى الروح . ولـكن هؤلاء الواصلين أقليـة والمنكرين أكثرية ، والانكار قد ساد وانتشر حتى غزا بعض شباب الجامعات وأصبح علما على كثير من المثقفين عندنا .

● **الدكتور محمد مصطفى حلمى :**

ليست المسألة أقلية واكثرية ، المهم ان الاتجاه الى تفسير الكون تفسيرا ماديا لم يعد هو كل شيء . والقليل قد يكثر ، وعندئذ تتحقق الفكرة الروحية وتنتظم الحياة على وجه خير من الوجه الذى تسير عليه الآن .

● **الدكتور محمد يوسف موسى :**

ماهى الفائدة من انكار المنكرين للكرامات ؟ أو من اثبات المثبتين لها ؟ ماهى الفائدة ، الا اذا كان الذين يثبتونها يجعلون ذلك مقدمة لاثبات معجزات الانبياء

والمسألة قد اثيرت وبشدة بين الامام الغزالى والفلاسفة تحت عنوان « الاسباب والمسببات »

هل يستطيع انسان ما ، ان يحدث شيئا عادة لايحدث الا عن سبب ، هل يستطيع ان يحدثه بلا سبب ؟

ثار هنا الخلاف بين الغزالى والفلاسفة ، ثم أثاره ابن رشد وهو يرد على الغزالى ، وأثارته ايضا الفلسفة الاوربية وتعرضت له فى جدل وحوار طويل .

واثبات ان الشيء يمكن ان يحدث بلا سبب معناه ان الله سبحانه يصطفى من يشاء من عباده ، فيجرى على يديه خارقة بقدرته سبحانه . وهذا ان جاء على يد غير رسول يسمى وليا ، وان جاء على يد نبى يسمى رسولا

والذى يجعل بعض الناس ينكر الكرامات ، هو فى الواقع عدم فهمهم للعلاقة الواجب أن تكون بين المادة والروح من ناحيه ، وبين الانسان والله من الناحية الاخرى .

فمسألة عمر بن الخطاب رضى الله عنه مثلا ، لما هتف ياسارية الجبل ، هذا الانكشاف البصرى ، وهذا الجلاء السمعى ، الذى حدث رغم المسافات والابعاد الطويلة ، انما حدث بقدرة من الله سبحانه

ان الانسان عندما تزول الكثافة المادية ، عند تجلى الله عليه فى المنام أو فى اليقظة ، فى هذه الحالة بيقين تنفك الروح من اسر المادة ، فيرى الانسان وهو نائم ويقظان ، يرى ما لايمكن ان يراه الانسان العادى ، بل ويصدر منه تسخير لعالم الافلاك ، والعالم الارضى .

ولكن أهو وقف على المسلمين ؟ أم هو جائز للناس كافة ؟ ان ما حصل ويحصل من بعض الهنود يدل على انهم وصلوا بتجريد الروح الا انيسيطروا على عالم الطبيعة ، أو عالم الافلاك .

فالمسألة اذن مسألة روح انفك اسارها فأصبحت طليقة ترى مالا يرى غيرها : «**قل الروح من أمر ربى**» : وهى فى حالة تصفيتها وتجردها تستطيع ان تفعل مالا تفعله اى قوة اخرى من قوى المادة

فالنتيجة العملية ، انه لايجب بحال ما ، ان ننكر كرامة الولى ، فقد ثبت ذلك ثبوتا تاريخيا ، وثبت ثبوتا فلسفيا ، كما قال الاساتذة الآن ، واما انكارها فقد يؤدى الى هدم الايمان بالمعجزة ، والى هدم الايمان بقدرة الله

بقيت نقطة ، هل ياترى من الخير ان نفرط فى الاعتقاد بالكرامات ، أو نصدق كل من يدعى الكرامة ؟

ان هذا قد يؤدى بنا الى ان نعتقد بالدجالين والمهرجين، والى الايمان بهذه الدعوة الباطلة التى تقول بان الرزق يأتى من غير عمل ، وان الاشياء تحدث بغير سبب ، وهو أمر جد خطير .

المبدأ ـ مبدأ الايمان بالكرامات ـ ثابت بيقين علما وتاريخا ، وإنكاره يؤدى الى انكار قدرة الله سبحانه ، وانكار قدرة الروح

انما يجب ان نكون على حذر ، فلا نفرط فى التصديق ، ولا نلقى بثقتنا الى كل مدعى .

● **الاستاذ محمد لبيب البوهى :**

الكرامة هى تكريم من الله سبحانه ، لعباده الصالحين المتقين ، فلا مجال لانكارها ، انما الواجب علينا أن ندقق ونمحص ، فقد تسلل الى هذا المحراب الطاهر بعض المغرضين المستغلين، فزيفوا على الناس بعض دجلهم ، وزعموه كرامة وولاية ، واتخذوا من ذلك طريقا للاعلان والدعاية .

● **الدكتور محمد غلاب :**

الولاية اذا ادعاها مدعى وهى فيه فقدأثم ، واذا ادعاها من ليست فيه كفر، هذا هو شرط القدامى للكرامة . وهو مقياس دقيق .

● **الاستاذ طه عبد الباقى سرور :**

لقد أثار الاساتذة فى بحثهم الجليل القيم ، نقاطا متعددة ، أحب ان اسهم فى تجليتها

فالحلاج شهيد التصوف الاسلامى ، وبطل المأساة التاريخية الكبرى ، لم يفش سر الربوبية ، بصنعه لتلك الكرامات التى عرف بها وأثرت عنه، واجمع الثقات من رجال التاريخ على انها أحدثت دويها الهائل فى دنيا الناس يوم ذاك ، كما اجمعوا على انه دعا الناس الى ربهم وانه اسلم على يديه طوائف من الخلق داخل الامبراطورية الاسلامية وخارجها .

والكرامات ليست من الاسرار التى يعاقب صاحبها اذا أحدثها أو نشرها على أعين الناس ، انها عطايا وهبات من الله جل جلاله ، والله سبحانه لا يعاقب عبداً على ما كرمه به ، وأفاضه عليه. .

ان مأساة الحلاج مأساة سياسية ، لقد كان يقاوم نظام الحكم الملكى العباسى المستبد المنحرف عن الاهداف الاسلامية العليا ، كان يحارب فساد

الحكم والانحراف الذى دخل على العقيدة وبعد بها ، كما يقول : عن روح الصدر الاول من الاسلام ، روح العبادة والبطولة .

وحتى خصوم الحلاج الذين نسبوا اليه ، اباحة الاسرار الالهية ، أو سر الالوهية ، لم يقصدوا بذلك ما كان يجرى على يديه من كرامات ، وانما قصدوا بذلك محاولة الكشف عن صلة الله سبحانه بعباده ، وأسراره فى خلقه !؟

وقولته المشهورة : « أنا الحق » اعتبرها أئمة التصوف ذروة عالية من ذرى الايمان الشامخة .

ويقول الامام الغزالى عنها : « انها خلاصة التوحيد » ويقول الشيخ الاكبر محيى الدين بن عربى فى الفتوحات : « انها عقيدة أهل المشاهدة والذوق » .

انها فى نظر رجال التصوف لا تحمل هذا المعنى الذى يتبادر الى عقول المحجوبين معنى الحلول أو الاتحاد انها لتعبير عن مقام من مقامات الفناء ، انها تذوق رفيع لحقيقة القدرة الفاعلة السارية المحركة لكل شىء فى الوجود القائمة بكل شىء فى الحياة .

اما مسألة الاسباب والمسببات التى اثيرت بين الغزالى والفلاسفة ، فحقيقتها ان التصوف الاسلامى ، لاينكر الاسباب ، كما يتبادر الى بعض الناس ، ولكنه لايقف معها .

انه ينفذ ببصره الى رب الاسباب سبحانه ، أو كما يقول الامام الغزالى : « الاسباب ظواهر تلازم الشىء وليست هى علته » أى أنه لابد من السبب الظاهر . ولكن حقيقة الفعل هو لرب كل شىء وخالقه ، أى تماما كماورد فى الحديث الشريف الذى أرشد الى أن الكافر هو الذى يقول امطرنا بنوء كذا . أما المؤمن فيقول ارسل الله الينا الغيث وانزل الله المطر .

والكرامة الحسية المادية مع جلالها ليست شيئا فى ميزان التصوف الحقيقى انها كما يقول محيى الدين ، لعب يلهو بها الاطفال . أما الرجال الكبار فالكرامة الحقة عندهم هى حفظ دينهم واوقاتهم وانفاسهم ، ودوام الرضا والحب عليهم من رب السموات والارضين .

الخلاصة

الكرامة وهى أمر خارق للعادة ، يجريه الله سبحانه على يد عبده الولى التقى ، للتثبيت والتكريم ، واعزاز العقيدة واجلال رجالها . من الامور التى وردت فى الكتاب والسنة ، واتفق عليها العلماء والفقهاء ، ورجال الفكر والعلم .

وانتهت الندوة فى تمام الساعة العاشرة على أن تعقد فى الشهر القادم باذن الله .